

حديث الذكريات عن عالم الآثار السوداني البروفسور على عثمان محمد صالح

أستاذ الآثار بكلية العلوم الإنسانية
جامعة بحري

أ.د. عبد الرحيم محمد خير

مقدمة:

كانت البداية للعمل الآثاري في السودان المسوحات والتنقيبات ببلاد النوبة (شمال السودان وجنوب مصر) وهي ثلاثة : الأولى (1907-1911م) ، الثانية (1929-1934) والثالثة (1959-1960م) . وشهدت فترة الخمسينات والستينات الماضية تأهيل الكادر الرائد الأول من الآثاريين السودانيين (عبدالرحمن آدم محمد : 1924-1954، ثابت حسن ثابت : 1921-1996م ، نجم الدين محمد شريف : 1938-1994م وأحمد محمد علي الحاكم : 1938-1996م) وركز هؤلاء الرواد أعمالهم في المسوحات والتنقيبات الآثارية بداخل السودان.

أما الجيل الثاني من الباحثين السودانيين في مجال الآثار فقد تخرج معظمهم من جامعة الخرطوم وتعلموا على يدي الرواد الأوائل من الآثاريين السودانيين والأوروبيين في المملكة المتحدة وكندا . ونال بعضهم تأهيله الأكاديمي فوق الجامعي كله في أوروبا (مبارك عبدالله الريح : المانيا وأسامة عبد الرحمن النور : الإتحاد السوفيتي). وعند إنشاء قسم الآثار بجامعة الخرطوم (1965م) ترأسه في البدء بروفيسور بيتر شيني P.Shinnie * . المؤسس للقسم مع البروفيسور مصطفى الأمير (مصري). وخلفه البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله (1970-1971م) فالبروفيسور أحمد محمد علي الحاكم (1971-1981م) (رحمهم الله) . وقد قام الأخيران بدور كبير في تأهيل القسم بالجامعة وعاونهما أساتذة غربيون (جون قاوالت ، راندي هالاند ، بيرس كروكر ، إلزا كليب ، رتشارد بيرس ، بول كالو و ف.سكاربروف) وعرب (غانم وحيدة-عراقي) وسودانيون (على عثمان محمد صالح ، العباس سيد أحمد محمد علي ، يوسف مختار الأمين ، خضر عبد الكريم أحمد وإبراهيم موسى محمد) . وتأهلت الدفعة الأولى من الآثاريين السودانيين في الغرب الأوروبي (كمبردج بانجلترا وجنيف بسويسرا) والأمريكي (كالقاري بكندا) .

التأهيل العلمي للبروفيسور علي عثمان محمد صالح :

تلقى تعليمه الابتدائي بموطنه قرية مشيكلا والمرحلة المتوسطة بدلقو المحس بالولاية الشمالية في الخمسينات والستينات المنصرمة . وواصل دراسته للمرحلة الثانوية بمدرسة أم درمان الأهلية الحكومية . ولا يعرف لماذا إختار هذه المدرسة بالعاصمة سيما وأن الإقليم الشمالي توجد به آنذاك مدارس ثانوية تماثلها في العراق (مروى وعطبرة)؟! بيد أنني على رأي مفاده أن مرد ذلك أن علي عثمان كان يعد نفسه أكاديمياً في العاصمة المثلثة بغية لعب دور بارز في الشأن العام للوطن في مقبل الأيام.

كان يقطن مدينة الخرطوم (الديوم الغربية) إبان دراسته بأم درمان الأهلية الثانوية الحكومية . وحدثنا عن ثناء أساتذته على إجتهاده وتوقعهم له بمستقبل واعد في دنيا العلم والمعرفة. وخص بالذكر أستاذ اللغة الإنجليزية بأم درمان الأهلية الثانوية البرت غبريال الذي إرتحل الى دنيا الخلود في الستينات الماضية .

إلتحق علي عثمان محمد صالح بجامعة الخرطوم طالباً في كلية الآداب عام 1965م . وتخرج فيها بمرتبة الشرف الأولى في التاريخ القديم عام 1970م. وتم تعيينه فور التخرج مساعد تدريس بقسم الآثار الناشئ حينها . وسرعان ما التحق بذات القسم زميله العباس سيد أحمد محمد علي بعد فترة وجيزة . وحصل كلاهما على منح لدراسة الماجستير بكندا (جامعة كالقاري). وأشرف على رسالتهما البرفيسور بيرت شيني وكانت رسالة علي عثمان عن «العهد المسيحي في النوبة Christian Nubia» أما زميله العباس سيد أحمد فقد تخصص في دراسات ما قبل التاريخ . وكانت أطروحته عن « العصر الحجري الحديث في السودان "Neolithic in the Sudan" عام 1973م . واصل علي عثمان تأهيله الأكاديمي والتحق بجامعة كمبردج (بريطانيا) وحصل على درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية متخصصاً في آثار العصر الوسيط في السودان عام 1978م . عاد بعدها للسودان أستاذاً مساعداً بقسم الآثار (1978 – 1984م) ، فمشاركاً (1984 – 2000م) . وحصل على مرتبة الأستاذية (Professorship) من جامعة الخرطوم عام 2000م . وواصل بعد ذلك عمله بالقسم حيث قام بتدريس العديد من المقررات عن الآثار السودانية والعربية والأفريقية .

الأبحاث والإشراف والنشر العلمي :

قام بتدريس العديد من المقررات عن الآثار السودانية والعربية والأفريقية .

الأبحاث والإشراف والنشر العلمي:

أجرى الأستاذ على عثمان عشرات البحوث العلمية كما ترأس العديد من مشاريع البحث الآثاري . وكانت البدايات بمشروع جامعة الخرطوم لمنطقة المحس (1995-2013م) ، ترأس مشروع SAP-1 رقم (5) بمدينة Nauri عند الشلال الثالث في أقصى الإقليم الشمالي . وأعقب ذلك ترأسه لمشروع التدريب والبحث العلمي لجامعة الخرطوم بمنطقة جبل أم على في ولاية نهر النيل (2015- وحتى اليوم) .

أشرف على العديد من البحوث الآثارية لدرجتي الماجستير (n=23) والدكتوراة ((n=17) . وشارك بأكثر من (50) بحثاً علمياً في مؤتمرات وورش علمية داخل وخارج السودان . وبذل جهداً غير قليل في تأهيل الكادر السوداني الآثاري وذلك بتوفير منح للدراسة وفرص تدريب لإكتساب الخبرة خارج السودان (جامعات كمبردج ببريطانيا وكالقاري بكندا) .

الخبرات الإدارية :

تقلد الأستاذ على عثمان رئاسة قسم الآثار لثلاث دورات خلال الأعوام 1983-1986م ، 1990-1995م و 1997-2003م . وظل عضواً بمجلس أساتذة جامعة الخرطوم ولا يزال منذ إلتحاقه بالجامعة منذ مطلع السبعينات الماضية وحتى اليوم .

خدمة المجتمع :

قام الأستاذ على عثمان بأدوار مهمة في خدمة المجتمع السوداني في مجال الشأن العام وفي الجانب الأكاديمي والمهني . فهو عضو قيادي بالحزب الإتحادي الديمقراطي . وشارك بفعالية في العمل السياسي خلال العقود الأربعة الفائتة . بيد أننى ساقطر حديثى عن مساهماته العلمية والثقافية التي عرفت عنها عن كتب إبان فترة وجودى طالباً لل بكالوريوس وباحثاً للماجستير في قسم الآثار بجامعة الخرطوم (1972-1983م). وفي مجال العمل الثقافي والإجتماعي العام سواء على المستوى المحلى والإقليمي والدولي فقد تقلد مهاماً

رفيعة منها رئاسة لجنة المؤتمر الدولي للحضارة الأفريقية . إلى القرن الحادي والعشرين (1997-1999م) ، رئاسة اللجنة الثقافية للهيئة السودانية للولايات المتحدة (اليونسكو، الييسكو والإيسيكو) (1997-2008م) كما عمل ممثلاً للسودان في اللجنة الدائمة للثقافة العربية (2000-2004م) ورئيساً لإتحاد الأدباء والكتاب السودانيين للعام 2015م . ويعتبر الأستاذ على عثمان من المثقفين الموسوعيين . ورغد الساحة الثقافية السودانية بالعديد من الكتابات (مجلة الثقافة السودانية في الثمانينات) والمحاضرات والمؤلفات التي ربطت علم الآثار بالثقافة وخدمة المجتمع .

الجوائز والشهادات التقديرية :

حصل الأستاذ على عثمان على جائزة العالم المتميز في برنامج زمالات الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (2008م). كما تم تكريمه من كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم لمساهماته العلمية البارزة. في تأهيل باحثي الدراسات العليا بالجامعة .

خواطر وذكريات :

للأستاذ على عثمان شخصية إجتماعية أسرة ويتمتع بحضور البديهة والمزحة الساخرة المحببة للنفس ، وعلاوة على ذلك ، فهو متواضع ومحبوب من طلابه وزملائه ومعارفه ويطلق عليه تلاميذه الكثر لقباً محبباً إلى نفسه وهو «عمو علي» .

لايتوانى الأستاذ على عثمان في تقديم النصيح والإرشاد لطلابه وزملائه بكل أمانة وتجرد في مختلف قضايا العمل الآثاري . وهو دائم التحفيز المعنوي لباحثي الآثار. ومما علق بالذاكرة عبارته التي خصني بها عندما إطلع على بحثي الموسوم «نشوء الدولة السودانية : منظور أركيولوجي - تاريخي» ، (نشر بمجلة دراسات أفريقية- جامعة أفريقيا العالمية - السودان ، العدد رقم 28 بتاريخ ديسمبر 2002م : 42 - 49) : « يا خير هذا مقال استثنائي ومن أجمل ما قرأت لك » . كما أزجى لي التهنئة الحارة بحصولي على جائزة الجدارة العلمية من الإتحاد العام للآثاريين العرب كأفضل باحث عربي في مجال دراسات ما قبل التاريخ للعام 2020م . وإعتبر الحصول على هذه الجائزة إنتصاراً للآثاريين السودانيين قاطبة.

مجمال القول ، إن البروفيسور على عثمان محمد صالح أحد أبرز علماء الآثار على المستوي العربي والأفريقي والعالمي في دراسات آثار العصور

الوسيلة. ولا ريب أن التلمذ عليه والإرتشاف من أرخبيل علمه الثر سواءاً في حلقات الدرس أو من خلال مؤلفاته الجياد هو المنهل الذي استقى منه الكثيرون في مجال الآثار خاصة والإنسانيات عامة . وكان خير معين لهم في مدارج حياتهم العلمية . نسأل الله له كمال الصحة وتمام العافية وأن يمدّه بطول العمر ويجعله ذخراً للعلم والوطن، إنه سميع مجيب الدعاء .

المراجع :

1. رابط ميديا جامعة الخرطوم : [https//www.Faceboc.com](https://www.Faceboc.com)
2. [http.//azharisadig.blogspot.comp/sudanes-archaeologist-page.html.?m=1](http://azharisadig.blogspot.comp/sudanes-archaeologist-page.html.?m=1) مدونة بروفيسور أزهرى مصطفى صادق